Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (3) Issue (1) May(2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

تقنيات السرد القصصي في شعر علي بن الجهم

د. ياسر توفيق فليح حسن
الجامعة العراقية / كلية التربية

Narrative Techniques in the Poetry of Ali Ibn Al-Jahm

Yasser.t.flayh@aliraqia.edu.iq

الملخص :

يمثل السرد القصصي آلية من الآليات المتلازمة والشعر، فلا تكاد تخلو قصيدة من حدث أو أحداث تتمحور حولها شخصيات تقود صراع الاحداث في مكان وزمان محددين للوصول الى ذروة هذه الأحداث والتي تكمن في عقدتها والبحث الى سبيل الخلاص من هذا التأزم وصولاً الى الحل. وهذه العناصر يمكن أن تكون ظاهرة في سطح النص او موظفة في عمقه او معلقة في فضاءاته تعمل على اشغال ذهن القارئ في إيجاد الروابط التي تملأ هذه الفجوات ولملمة عناصر النص ليصل الى النسيج العام للنص الذي نظمه الشاعر وعمد الى ايصاله الى ذهن المتلقي في بناء لغوي فني درامي بسيط.نجد ذلك واضحا في قصائد علي بن الجهم الذي يسقط قصة أو أكثر في أبيات القصيدة، قائمة على أحداث متسلسلة يتخللها السرد والحوار تبعث التشويق في نفس القارئ بعيداً عن التكلف والملل. واقتضت هذه الدراسة الى تقسم البحث على مقدمة يليها تمهيد بيّن ماهية السرد وعناصره، وتلاه أربعة مباحث: خصص المبحث الأول لدراسة الأحداث الواردة في النص الشعري، وعني المبحث الثاني بتسليط الضوء على الشخصيات الرئيسية والثانوية المسرودة في أبيات القصيدة، ثم المبحث الثالث الذي خصص ببيان مكان الأحداث القصصية وتبعه المبحث الرابع والأخير الذي أبرز زمان الاحداث داخل القصيدة ودوره في البنية القصصية. وختمت الدراسة بخاتمة بينت النتائج التي توصلت اليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية : السرد ، الحدث ، الشخصيات ، المكان ، الزمان

Abstract

Storytelling represents one of the mechanisms of poetry, and there is hardly a poem without an event centered around characters who lead the conflict of events in a specific place and time to reach the climax of these events, which lies in its knot and the search for a way out of this crisis to reach a solution. These elements can be visible on the surface of the text, or employed in its depth or suspended in its spaces, working to occupy the reader's mind in finding the links that fill these gaps and bring together the elements of the text to reach the general fabric of the text organized by the poet and intended to communicate it to the mind of the recipient in a simple dramatic artistic linguistic construction.We find this clear in the poems of Ali ibn al-Jahm, who drops one or more stories in the verses of the poem, based on sequential events interspersed with narration and dialog that create suspense in the reader's soul and keep him away from stiltedness and boredom. This study required that the research be divided into an introduction, followed by a preface that explained what the narrative is and its elements, followed by four investigations: The first was devoted to studying the events contained in the poetic text, the second was concerned with highlighting the main and secondary characters listed in the verses of the poem, then the third was devoted to showing the location of the story events, followed by the fourth and final research, which highlighted the time of events within the poem and its role in the story structure. The study concluded with a conclusion that outlined the findings of the study.**Keywords :** Narrative, Event, Characters, Place, Time

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وعلى آله وصحبه وبعد فالأسلوب القصصي بصورة عامة متصل بجوانب الحياة المختلفة ولا يقتصر على عمل أدبي دون غيره، والسرد داخل الابيات الشعرية يمنحها جمالية وقبول لدى القارئ ويسهم في تثبيت الفكرة التي يريد الشاعر ايصالها إلى المتلقي بطريقة سلسلة متتابعة ، وتضع القارئ من خلال المبنى يغوص الى عمق المعنى عبر نسيج فني متراص، باحثاً عن الشخصيات المتمحورة حول الاحداث العامة والدقيقة وزمان ومكان كل حدث منها ، للوصول الى تأزم النص الكامن في عقدة القصة وذروتها ليشغل القارئ بها عن غيرها

، ثم يخلص بعدها الى الحل ليفك شفرات ذاك التأزم وصولا الى الحل بطريقة متتابعة واحداث النص دون أن يجد القارئ تكلفاً أو نفوراً منهاوهو الى جانب ذلك يشكل وحدة متكاملة متضامة الاجزاء في القصيدة، إذ يعمد الشاعر الى توظيف أجزاء السرد داخل القصيدة بصورة شيقة متسلسلة الاحداث محافظاً في ذات الوقت على زمكانية الأحداث وينظر الى موقع الشخصيات داخلها من زوايا مختلفة لتتحول جملة هذه الأجزاء الى صورة ذات ابعاد متناسبة تمنح القارئ سهولة تلقيها والاستمتاع بجزئياتها، فضلا عن ذلك تسمح للمتلقي سلاسة في ملء فضاءات النص التي يبقيها الشاعر ويترك للقارئ مساحة في بنائهاوهذه الأجزاء وغيرها وجدتها في قصائد من شعر علي بن الجهم. لذا هدفت الدراسة على التعرف على أسلوب الشاعر السردي من جهة وربطها بمعاني وموضوعات قصائده من جهة أخرى ، معتمدا في ذلك المنهج السردي التحليلي ، ومستنداً على مصادر عدة تناولت جزئيات من هذا الموضوع وقد قضت الدراسة الى تقسيمها على مقدمة يليها تمهيد بينت فيه ماهية السرد في اللغة والإصلاح ، وتبعته بأربعة مباحث بينت في كل مبحث عنصر من عناصر السرد . مبتدأ بالأحداث ثم الشخصيات السردية الواردة في قصائد الشاعر، يليه المكان ومنتهياً بالزمان ، موظفاً الشواهد الشعرية الواردة من ديوان الشاعر علي بن الجهم في كل مبحث منها وعمدت إلى دراستها دراسة تحليلية تبين أثر هذه العناصر على بنية النص الشعري ، وانتهت الدراسة بخاتمة لأهم النتائج.

التمهيد: ماهية السرد القصصي السرد لغة " تقدمة شيء إلى شيء تأتى به متسقا بعضه إثر بعض متتابعاً "[١]، ومنه قولهم: سرد الدرع، أي ضم حديد بعضها إلى بعض، والمسرد: المنظم من خرز أو غير[٢]وفي الاصطلاح يمثل الإخبار لحادثة أو أكثر محكية كانت أم مدونة سواء كانت حقيقة أم من عمل الخيال. فتحمله "اللغة المنطوقة شفوية كانت أم مكتوبة"[٣] ، والسرد عنصر ملازم للزمن الماضي والحاضر ، فهو دائم الحضور في الفنون الأدبية القديمة والحديثة [٤] والسرد من العناصر البارزة في البنية القصصية فهو "حديث نثري يتفاعل مع جوهر الحكاية ويعبر عن مضمونها"[٥]، كما يمثل "كناية عن مجموع الكلام الذي يؤلف نصا"[٦] وأداة أساسية "لنسيج العلاقات بين العناصر الفنية التي يقوم عليها النص القصصي"[٧]. كما أنه لا ينحصر في الاعمال القصصية أو الروائية كما هو شائع، بل يتعدى ذلك ليشمل الاجناس الأدبية المختلفة شعراً أو نثراً أو حتى في الرسم، وهذا ما أكده رولان بارت فذكر أن السرود في العالم "لا تحصى ولا تعد إنها تشكيلة ضخمة من الأنواع تتوزع بين مواد مختلفة ... فالسرود تبدو ماثلة في الأسطورة والخرافة والحكاية والأقصوصة والخبر والملحمة والتاريخ والتراجيديا والدراما والكوميديا والمسرحية الإيحائية واللوحة المرسومة. والسينما والمسرحيات الهزلية والخبر التافه والأحاديث، فالسرود عالمية تتجاوز التاريخ والثقافات ، إنها كما الحياة في كل مكان"[٨]والقصيدة واحدة من هذه الأجناس الأدبية الخاضعة " لقوانين القص، فتكيف نفسها بتوسع؛ لتستوعب آليات السرد المختلفة، إذ تتمدد وتتوسع لتحمل نزوعا، تشف به عبر تداخل الأصوات، والحوار، والشخصيات، وسوى ذلك من الاستعانات السردية"[٩] ولا يمكن أن تتم العملية السردية دون وجود من يثبت دعائمها ويوظف أجزاءها لتصل الى المتلقي بالصورة الشاملة، فالعملية متكونة من "باث يرويها ومتقبل يسمعها أو يقرؤها"[١٠]. والسارد شخصية حقيقة أو وهمية يخلقها، المؤلف الحقيقي من خياله. ويختلف عنه اختلافا جذرياً. فالراوي شخص من ورق"[١١] ، كما قال عنه بارت، بينما المؤلف الحقيقي" شخصية حقيقية من لحم ودم تقدم لنا العمل القصصي والراوي هو من يخلق النسق، أو يتحكم أكثر من غيره في ترتيب الأحداث ، واللغة التي تكون بنية السرد"[١٢] فهو عنصر بارز في تتمة العملية السردية .

المبحث الأول : الأحداث

يعد الحدث من أهم عناصر السرد القصصي ولا تكاد تخلو كل قصة من حدث ولا تقوم إلا بوجوده ، والحدث قائم على عنصرين ثابتين هما الفعل والزمن ، ولنتمكن من تحقيق الحدث يجب أن نوافق بين الأفعال بحسب ترتيبها في زمان النص والحدث "المقومات الأساسية في العمل القصصي، والأحداث هي القلب الذي يدور حوله باقي عناصر القصة، فبدون الحدث لا توجد قصه من الأساس... فهي مجموعة من الأحداث التي تجتمع مع بعضها لتكون الحبكة التي تعد ذروة العمل القصصي"[١٣] . وهو من "فعل الشخصية، وحركتها داخل القصة وهو يرتبط بوشائج قوية مع بقية الأدوات الفنية الأخرى ولا سيما الشخصية"[١٤] فضلا عن المكان والزمان وتقنية السرد القصصي تقوم على الأحداث الواقعة في القصيدة من بدايتها وصولا الى الحبكة التي تمثل الذروة في تأزم الأحداث وصولا الى طريق لفك هذا التأزم والذي يكمن في الحل ، ولا يمكن فصل الحدث عن بقية عناصر السرد الأخرى فهي تكمل بعضها بعضاً والاحداث في سرد الشاعر علي بن الجهم محكمة بطريقة سلسلة معتمدة في الغالب على الحوار والانتقالات المتناسبة والتي لا يشعر القارئ بوجود فجوات بينها ففي قصيدته التي يمتدح بها المعتصم تبدأ الأحداث على منوال القصائد الجاهلية من وقوف على الاطلال وانتقال للغزل ،يقول[١٥]:

"مَتى عَطِلَت رُباكِ مِنَ الخِيامِ سُقيتِ مَعاهِداً صَوبَ الغَمامِ

لَأَسرَعَ ما أَدالَتكِ اللَيالي وَأَخلَت عَنكِ عائِرَةَ السَوامِ

وَقفتُ بِها عَلى حِلَلٍ بَوالٍ تُعَفّيها السَوافي بِالقَتامِ
فَقُلتُ لِفِتيَةٍ مِن آلِ بَدرٍ كِرامٍ وَالهَوى داءُ الكِرامِ
قِفوا حَيّوا الدِيارَ فَإِنَّ حَقّاً عَلَينا أَن نُحَيّي بِالسَلامِ"

ثم يقول في الغزل[١٦]:

"وَرُحنا تَلزَمُ الأَيدي قُلوباً دَوينَ مِنَ الصَبابَةِ وَالغَرامِ
هِيَ الأَيّامُ تَجمَعُ بَعدَ بُعدٍ وَتَفجَعُ بَعدَ قُربٍ وَالتِئامِ
أَعاذِلَ لَو أَضافَكِ جُنحُ لَيلٍ إِلَيَّ وَأَنتِ واضِعَةُ اللِثامِ"

ثم تستمر أحداث القصيدة بوصف رحلة الشاعر إلى الخليفة على النوق وكانت رحلة طويلة ليصل إلى الخليفة ويمدحه، يقول[١٧]:

"إِلَيكَ خَليفَةَ اللَهِ اِستَقَلَّت قَلائِصُ مِثلُ مُجفِلَةِ النَعامِ
تَراها كَالسَراةِ مُعَمَّماتٍ إِلى اللَبّات من جَعدِ اللُغامِ"

وهنا تتداخل عناصر السرد القصصي مع الحدث فتظهر شخصية الخليفة ، وبعدها يبدأ بذكر الأماكن التي عبرها ويحدد زمان عبورها فبعضها قطعا ليلا وأخرى صباحا ، يقول[١٨]:

"جَزعنَ قَناطِرَ القاطولِ لَيلاً وَأَعراضَ المَطيرَةِ لِلمُقامِ"

ثم يحسن الشاعر الانتقال الى الغرض الأساسي من القصيدة وهو المديح ، فيعتمد على عنصر الزمان وهو الصباح ليتخلص من وصف الرحلة ويبدا مدح الخليفة بتشبيه وجهه بالصباح فيكون الانتقال سلسل لا يشعر فيه القارئ بنفور ، يقول[١٩] :

"وَثُرنَ وَلِلصَباحِ مُعَقِّباتٌ تُقَلِّصُ عَنهُ أَعجازَ الظَلامِ
فَلَمّا أَن تَجَلّى قالَ صَحبي أَضَوءُ الصُبحِ أَم وَجهُ الإِمامِ
فَقُلتُ كَأَنَّهُ هُوَ مِن بِعيدٍ وَجَلَّت غُرَّةُ المَلِكِ الهُمامِ"

وهنا تبدأ الحدث يأخذ مجراه اذ يمدح الخليفة بان الله فضله على الخلفاء بعدة صفات ويصف شجاعته معتمدا على وصف السيوف والرماح ، ثم تعود عناصر السرد القصصي للاندماج من خلال ذكر أسماء لشخصيات معادية قد قتلهم الخليفة كـ(مازيار بن قارن) و(بابك) ،يقول[٢٠]:

"وَأَنتَ خَليفَةُ اللَهِ المُعَلّى عَلى الخُلَفاءِ بِالنِعَمِ العِظامِ
وَليتَ فَلَم تَدَع لِلدّينِ ثَأراً سُيوفُكَ وَالمُثَقَّفَةُ الدَوامي
نَصَبتَ المازَيارَ عَلى سَحوقٍ وَبابَكَ وَالنَصارى في نِظامِ
مَناظِرُ لا يَزالُ الدينُ مِنها عَزيزَ النَصرِ مَمنوعَ المَرامِ"

وينتقل بعدها الشاعر إلى وصف حدث آخر يدعم ويقوي به الحدث الرئيسي وهو فتح عمورية والتي تمثل شجاعة وشهامة الخليفة إذ حرك الجيوش انتصارا وثأرا لامرأة مسلمة أهينت فصرخت باسم الخليفة ،يقول[٢١]:

"وَعَمّورِيَّةَ اِبتَدَرَت إِلَيها بَوادِرُ مِن عَزيزٍ ذي اِنتِقامِ
فَقَعقَعَتِ السَرايا جانِبَيها وَأَلحَفَتِ الفَوارِسُ بِالسِهامِ
رَأَت عَلَمَ الخِلافَةِ في ذُراها فَخَرَّت بَينَ أَصداءٍ وَهامِ"

ثم يختم قصيدته بصفات محببة يدعم بها غرضه فيصفه بأنه امام المسلمين الذي يغضب لدين الله ، يقول[٢٢]:

"إِمامي مَن لَهُ سَبعونَ أَلفاً مِنَ الأَتراكِ مُشرَعَةَ السِهامِ
إِذا غَضِبوا لِدينِ اللَهِ أَرضَوا مَضارِبَ كُلِّ هِندِيٍّ حُسامِ"

فعناصر السرد القصصي جاءت متسقة بشكل واضح للقارئ فأحداث القصيدة متسلسلة والتخلص من غرض إلى أخر جاء بطريقة منسجمة بالإضافة إلى أن الشخصيات والمكان والزمان جاءت مكملة للحدث لتخرج لنا القصيدة بصورة متكاملة يفهم المتلقي ما يريده الشاعر بالتحديد وفي قصيدة أخرى نرى الاحداث سريعة تريد أن توصل الفكرة بصورة سلسلة تتناسب مع الغرض من القصيدة، يقول[٢٣]:

"تَنَكَّرَ حالَ عِلَّتِيَ الطَبيبُ وَقالَ أَرى بِجِسمِكَ ما يَريبُ
جَسَستُ العِرقَ مِنكَ فَدَلَّ جَسّي عَلى أَلَمٍ لَهُ خَبَرٌ عَجيبُ

فَما هذا الَّذي بِكَ هاتِ قُل لي فَكانَ جَوابَهُ مِنّي النَحيبُ
وَقُلتُ أَيا طَبيبُ الهَجرُ دائي وَقَلبي يا طَبيبُ هُوَ الكَئيبُ
فَحَرَّكَ رَأسَهُ عَجَباً لِقَولي وَقالَ الحُبُّ لَيسَ لَهُ طَبيبُ
فَأَعجَبَني الَّذي قَد قالَ جِدّاً وَقُلتُ بَلى إِذا رَضِيَ الحَبيبُ
فَقالَ هُوَ الشِفاءُ فَلا تُقَصِّر فَقُلتُ أَجَل وَلكِن لا يُجيبُ
أَلا هَل مُسعِدٌ يَبكي لِشَجوي فَإِنّي هائِمٌ فردٌ غَريبُ"

فالسرد القصصي هنا سرد غزلي يتطلب رقة وسرعة في إيصال الفكرة لاسيما أن أحداث السرد تدور حول البعد فالسرعة هنا مطلوبة جدا ليصل لمحبوبه باقصر ما يمكن ، فسرد الأحداث هنا اعتمد أسلوب الحوار والجملة القصيرة ، أما عناصر السرد الأخرى فلم تبرز هنا باستثناء شخصية الطبيب وهو مجهول أيضا وظف هنا لغاية إيصال فكرة القصيدة ، أما الزمان والمكان فيبدو أن الشاعر تعمد عدم ذكرها تماشيا مع الفكرة السائدة من عدم اظهار الحب علنا.

المبحث الثاني :الشخصيات

"وهي من العناصر الرئيسة في القص الشعري ، فالشخصيات هي مدار المعاني الانسانية ومحور الأفكار والآراء"[٢٤] فالشخصية في العمل السردي "هي مدار الأمر في كل نص سردي ، إذ لا يمكن أن يكون سرد أو قص ما لم يتمحور حول شخصية ما وتكون إنسانية تنهض بأفعال وأعمال الشخص ذي الكينونة الاجتماعية"[٢٥] والشخصية عند علي بن الجهم بارزة جدا وكثيرا ما يؤكد على ذكر الأسماء وتندمج مع باقي عناصر السرد القصصي ، ففي قوله [٢٦]:

"وَقائِلٍ أَيُّهُما أَنوَرُ الشَمسُ أَم سَيِّدُنا جَعفَرُ
قُلتُ لَقَد أَكبَرتَ شَمسَ الضُحى جَهلاً وَما أَنصَفتَ مَن تَذكُرُ"

يمدح الخليفة المتوكل ويرد على من يشبهه بشمس الضحى ، فيصرح باسمه ويدرجه ضمن عناصر السرد الأخرى ،فيبدأ بصياغة حدث ويمنحه أهمية كبرى ويجذب المتلقي إلى ما يريد أن يثبته من خلال عنصر التشويق ببيان الفرق بين الخليفة والشمس ،يقول[٢٧]:

"الشَمسُ يَومَ الدَجنِ مَحجوبَةٌ وَاللَيلُ يُخفيها فَلا تَظهَرُ
فَهيَ عَلى الحالَينِ مَملوكَةٌ لا تَدفَعُ الرِقَّ وَلا تُنكِرُ
فَكَيفَ قايَستَ بِها غُرَّةً غَرّاءَ لا تَخفى وَلا تُستَرُ
في كُلِّ وَقتٍ نورُها ساطِعٌ وَكُلُّ وَصفٍ دونَها يَقصُرُ"

فالشخصية ظهرت بالقصيدة من خلال التصريح باسمها ومن خلال ذكر الصفات ربطها الشاعر بها ،يقول[٢٨]:

"كَالرُمحِ مَهزوزاً عَلى أَنَّهُ لا فارِطُ الطولِ ولا جَحدَرُ
أَحسَنُ خَلقِ اللَهِ وَجهاً إِذا بِدا عَلَيهِ حُلَّةٌ تَزهَرُ
وَأَخطَبُ الناسِ عَلى مِنبَرٍ يَختالُ في وَطأَتِهِ المِنبَرُ
وَتَطرَبُ الخَيلُ إِذا ما عَلا مُتونَها فَالخَيلُ تَستَبشِرُ
وَتَرجُفُ الأَرضُ بِأَعدائِهِ إِذا عَلاهُ الدِرعُ وَالمِغفَرُ"

ويبالغ الشاعر فيصف لنا حديث ابليس وهو شخصية غير واقعية ليكمل السرد القصصي في مديح الخليفة ،يقول[٢٩]:

"وَصاحَ إِبليسُ بِأَصحابِهِ حَلَّ بِنا ما لَم نَزَل نَحذَرُ
مالي وَلِلغُرِّ بَني هاشِمٍ في كُلِّ دَهرٍ مِنهُمُ مُنذِرُ
أَكُلَّما قُلتُ خَبا كَوكَبٌ مِنهُم بِدا لي كَوكَبٌ يَزهَرُ
لَم يُلهِهِ عَنّي الشَبابُ الَّذي يُلهي وَلا الدُنيا الَّتي تُعمَرُ
وَاللَهِ لَو أَمهَلَنا ساعَةً ما هَلَّلَ الناسُ وَلا كَبَّروا"

ويستغل الشاعر عنصر الشخصية في اظهار تجلده للخليفة ويبين حبه له وبقائه على عهده معه ، فينسب نفسه إلى شخص المتوكل فيظهر السرد القصصي يدل على جانبين جانب يخص الشاعر وتعلقه بالخليفة وجانب يدل على مدح الخليفة ،يقول[٣٠] :

"أنا المُتَوَكِّلِيُّ هَوىً وَرَأياً وَما بِالواثِقِيَّةِ مِن خَفاءِ
وَما حَبسُ الخَليفَةِ لي بِعارٍ وَلَيسَ بِمُؤيسي مِنهُ التَنائي"

وعندما يذكر علي بن الجهم الشخصية يذكرها في سياق سردي قصصي متكامل ، فنفهم ما هذه الشخصية مميزاتها او عيوبها وما فعلت وما قدمت ، مثلا في هجائه لاحمد بن أبي دؤاد بسبب ما أحدثه في الدين من تغييرات وبدع وبعد أن عزله المتوكل ،يصب علي بن الجهم غضبه عليه في الهجاء فيذكر عيوبه وكسرقة الأموال واتباع المتع وغيرها ، يقول[٣١]:

"يا أَحمَدُ بنَ أَبي دُؤادٍ دَعوَةً بَعَثَت إِلَيكَ جَنادِلاً وَحَديدا
ما هذِهِ البِدَعُ الَّتي سَمَّيتَها بِالجَهلِ مِنكَ العَدلَ وَالتَوحيدا
أَفسَدتَ أَمرَ الدينِ حينَ وَليتَهُ وَرَمَيتَهُ بِأَبي الوَليدِ وَليدا
لا مُحكَماً جَزلاً وَلا مُستَطرَفاً كَهلاً وَلا مُستَحدَثاً مَحمودا
شَرِهاً إِذا ذُكِرَ المَكارِمُ وَالعُلا ذَكَرَ القَلايا مُبدِئاً وَمُعيدا
وَيَوَدُّ لَو مُسِخَت رَبيعَةُ كُلُّها وَبَنو إِيادٍ صَحفَةً وَثَريدا
وَإِذا تَرَبَّعَ في المجالسِ خلتَهُ ضَبُعاً وخلتَ بني أبيهِ قرودا
وإذا تبسَّمَ ضاحِكاً شَبَّهتَهُ شَرِقاً تَعَجَّلَ شُربَهُ مَزؤودا
لا أَصبَحَت بِالخَيرِ عَينٌ أَبصَرَت تِلكَ المَناخِرَ وَالثَّنايا السودا"

فالسرد القصصي بدأت باسم الشخصية وفيها ما فيها من جذب لانتباه المتلقي، لينتقل بعدها إلى صفات هذه الشخصية والحدث المتعلق بها ، ويختمها بالدعاء عليه لينتهي السرد بصورة سلسة واضحة. ويوثق في قصائده من خلال السرد القصصي للشخصيات والاحداث ،أمورا تاريخية كالنصرة والخيانة كما في قوله[٣٢]:

"بَلى وَقَفَ الفَتحُ بنُ خاقانَ وَقفَةً فَأَعذَرَ مَولى هاشِمٍ وَتَليدُها
وَجادَ بِنَفسٍ حُرَّةٍ سَهَّلَت لَهُ وُرودَ المَنايا حَيثُ يَخشى وَرودُها
وَفَرَّ عُبيدُ اللهِ فيمَن أَطاعَهُ إِلى سَقَرِ اللهِ البَطيءِ خُمودُها
وَلَم تَحضُرِ الساداتُ مِن آلِ مُصعَبٍ فَيُغنِيَ عَنهُ وَعدُها وَوَعيدُها"

فالفتح بن خاقان هو من حاول نصر الخليفة المتوكل وغيره فر وترك الخليفة يواجه القتل فالشاعر يذكر عدد من الشخصيات في قصائد سواء أكانت القصائد مدحا أم هجاء أم رثاء وغيرها، وغالبا ما يأتي ذكر الشخصية ضمن سرد قصصي متكامل العناصر من حدث ومكان وفي بعض الأحيان زمان فيخرج النص بصورة أدبية شعرية قصصية قادرة وبكل عناصرها على إيصال الصورة للمتلقي كما يراها الشاعر.

المبحث الثالث :المكان

يعد المكان في السرد القصصي من العناصر المهمة والضرورية التي تكتمل به الصورة القصصية المقصودة إذ" يعد من العناصر الفاعلة في تحديد ملامح الشخصية وطبيعة افعالها ...فالمكان يعبر عن الشخصية وطبيعتها ، كما انه قد يدفعها للتعبير عما يجول بداخلها من مشاعر"[٣٣]والمكان عنصر جوهري في العمل الأدبي ويمثل محوراً أساسياً تدور حولها النظرية الأدبية ، ويعمل على تكوين هوية الكيان الجماعي[٣٤]. كما أنه يمثل الفضاء الذي تجري فيه الأحداث[٣٥]. ومن الاطلاع على الابيات الواردة في شعر علي بن الجهم يمكن أن نلحظ أن المكان قد لعب دورا أساسيا في اكتمال الصورة القصصية فهو يضفي واقعية ومصداقية لما يقوله الشاعر ويصفه فالمكان في قصائد الشاعر قد يأتي استمرارا لنمط القصيدة الجاهلية دون تحديد ، فيذكر الديار ويقف عليها ،يقول[36]:

"فقلت لفتية من آل بدر كرام والهوى داء الكرام
قفوا حيوا الديار فأن حقاً علينا إن نحيي بالسلام"

إذ يوجه الشاعر السرد داخل الابيات من خلال عناصره (الحدث والشخصية والمكان) ليخرج مكتملا فيخاطب فتية من ال بدر وسبغ عليهم الصفات الحميدة ثم يدعوهم للوقوف بالديار والقاء التحية والسلام فهي تستحق ذلك لانه ديار جده كذلك يقف على ديار ابيه وعمه ،يقول[٣٧]:

"أوردتنا حلوان ظهراً وقرمي سين ليلا وصبحت همذانا
أنظرتنا إذا مررنا بمرو ووردنا الرزيق والماجانا

أن نحيي ديار جهم و إدريـ س بخير ونسأل الاخوانا"

ويبرز العراق وبغداد في قصيدته التي يرثي بها المتوكل يقول فيها[٣٨]:

"فَلَمّا رَأَت حُرَّ الثَرى مُتَعَقِّداً بِما زَلَّ مِنها وَالرُبى تَستَزيدُها
وَأَنَّ أَقاليمَ العِراقِ فَقيرَةٌ إِلَيها أَقامَت بِالعِراقِ تَجودُها
فَما بَرِحَت بَغدادُ حَتّى تَفَجَّرَت بِأَودِيَةٍ ما تَستَفيقُ مُدودُها"

فالسرد القصصي هنا تدور أحداثه حول سحابة ممطرة جادت على العراق وبغداد على وجه الخصوص والشاعر يكني بها عن الخليفة المتوكل ، فيبرز المكان هنا ليدعم به هذا السرد ويقويه ويبين هذا المكان بالتحديد فيذكر العراق على وجه العموم بأقاليمه ثم بغداد على وجه الخصوص ثم يخصص أكثر فيذكر نهر دجلة ،يقول[٣٩]:

"وَدِجلَةُ كَالدِرعِ المُضاعَفِ نَسجُها لَها حَلَقٌ يَبدو وَيَخفى حَديدُها"

ثم يحدد بان ريح الشمال هي التي أبعدت هذه السحابة، يقول[٤٠]:

"فَلَمّا قَضَت حَقَّ العِراقِ وَأَهلِهِ أَتاها مِنَ الريحِ الشَمالِ بَريدُها"

ثم يكمل سرده القصصي فيصرح باستشهاد الخليفة ، يقول[٤١]:

"وَخَلَّت أَميرَ المُؤمِنينَ مُجَدَّلاً شَهيداً وَمِن خَيرِ المُلوكِ شَهيدُها"

فهذه القصيدة بسردها القصصي بأحداثها، بمكانها وشخصياتها خرجت بصورة مكتملة تلفت انتباه القارئ موضحة الحدث المقصود بصورة أدبية رائعة. وفي قصيدة أخرى يبدأ بقوله[٤٢]:

"عُيونُ المَها بَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري"

فيبدا سرده مباشرة ببيان مكان لقائه مع محبوبته لينطلق بعدها ليكمل أحداث القصيدة، وهكذا بداية وضحت طبيعة السرد وهو الغزل وجمال المحبوبة ومكانها فمن خلال بيت واحد استطاع الشاعر أن يبث كمية معلومات تشكل الفكرة الأساسية في ذهن المتلقي لينتقل بعدها إلى توضيح التفاصيل الاخر. ويجمع الشاعر بين عناصر السرد القصصي في قوله[٤٣]:

"أَما وَمُحَرِّمِ البَلَدِ الحَرامِ يَميناً بَينَ زَمزَمَ وَالمَقامِ
لَأَنتُم يا بَني العَباسِ أَولى بِميراثِ النَبِيِّ مِنَ الأَنامِ
تُجادِلُ سورَةُ الأَنفالِ عَنكُم وَفيها مَقنَعٌ لِذَوي الخِصامِ
وَآثارُ النَبِيِّ وَمُسنَداتٌ صَوادِعُ بِالحَلالِ وَبِالحَرامِ"

فيحدد المكان بدقة ويحدد الأشخاص ويحدد السور القرانية بدقة فالشاعر هنا يسرد قصة على شاكلة أبيات شعرية.ويحاول الشاعر في قصيدة أخرى أن يجمل الحبس ، وهو مكان من المفترض أن يكون بشعا ،يقول:

"قالَت حُبِستَ فَقُلتُ لَيسَ بِضائِرٍ حَبسي وَأَيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغمَدُ
أَوَما رَأَيتِ اللَيثَ يَألَفُ غيلَهُ كِبراً وَأَوباشُ السِباعِ تَرَدَّدُ
وَالشَمسُ لَولا أَنَّها مَحجوبَةٌ عَن ناظِرَيكِ لَما أَضاءَ الفَرقَدُ
وَالبَدرُ يُدرِكُهُ السِرارُ فَتَنجَلي أَيّامُهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَدِّدُ
وَالغَيثُ يَحصُرُهُ الغَمامُ فَما يُرى إِلّا وَرِيقُهُ يُراحُ وَيَرعُدُ
وَالنارُ في أَحجارِها مَخبوءَةٌ لا تُصطَلى إِن لَم تُثِرها الأَزنُدُ"

فالسرد القصصي داخل الابيات يدور حول محاولة الشاعر أن يحافظ على تماسكه وهو داخل السجن فعلى الرغم مما يعانيه إلا أنه أظهر القوة والتماسك خوفا من شماتة الأعداء ، فهو قد حبس بعزة وكبرياء، فالحبس ليس عيبا ثم يدعم رأيه بسرد الأدلة ،فما من مهند إلا أغمد، وما من أسد إلا يهوي عرينه، ولولا حجاب الشمس عن الأنظار لما أضاءت الأرض،وحتى القمر لو لم يختفي لما تجدد وأضاء، والنار لولا أنها مدخرة داخل أحجارها لأحرقت كل شيء، فالشاعر من خلال السرد استطاع أن ينقل القارئ من جو السجن الكئيب إلى جو آخر يجبره على أن يقارن السجن بأشياء جميلة وذات أهمية ، وقد أحسن الشاعر وأجاد في تخلصه من جو إلى آخر.

الزمن والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيره[٤٤]وطبيعي تأثر الانسان بالمكان والزمان لأنه يعيش في فضاءيهما وهو "كائن زماني أكثر من كونه كائناً مكانياً، صحيح أن الانسان يعيش على رقعة محددة من المكان ، إلا أنه يعيش في الزمان أكثر من المكان"[٤٥]والزمان أحد عناصر السرد القصصي ويظهر توظيفه جلياً في قصائد علي من الجهم، إذ وظف الشاعر الزمان في كثير من المواضع منها ما يشتمل على الزمان العام ومنها ما خص به الزمان المتغير (الماضي أو الحاضر أو المستقبل) ففي معرض السرد القصصي لوصف تقلبات الزمان ، يطلق لفظ الزمان بصورة عامة دون تخصيص وقت محدد كونه يحتاج ليصف هذه التقلبات في فترات مختلفة لا يمكن حصرها في وقت واحد ، يقول[٤٦]:

"أَتُرى الزَمانَ يَسُرُّنا بِتَلاقِ وَيَضُمُّ مُشتاقاً إِلى مُشتاقِ
وَيُقِرُّ عَيناً طالَما سَخِنَت فَلَم تَملِك سَوابِقَ دَمعِها المُهراقِ
نُوَبُ الزَمانِ كَثيرَةٌ وَأَشَدُّها شَملٌ تَحَكَّمَ فيهِ يَومُ فِراقِ
يا قَلبُ لِم عَرَّضتَ نَفسَكَ لِلهَوى أَوَما رَأَيتَ مَصارِعَ العُشّاقِ

ومنه قوله يصف الأيام[٤٧] :

"هِيَ الأَيّامُ تَكلِمُنا وَتَأسو وَتَجري بِالسَعادَةِ وَالشَقاءِ
فَلا طولُ الثَواءِ يَرُدُّ رِزقاً وَلا يَأتي بِهِ طولُ البَقاءِ"

ويضفي الزمان المحدد بصورة دقيقة واقعية تاريخية على السرد القصصي داخل قصيدته التي يمدح بها المتوكل ، يقول[٤٨]:

"يا وارِثَ الأَرضِ الَّذي أَصبَحَت أَقطارُها مِن نورِهِ تَزهَرُ
قَد كانَ مُشتاقاً إِلى خُطبَةٍ مِنكَ سَريرُ المُلكِ وَالمِنبَرُ
فَأَصبَحا قَد ظَفِرا بِالَّتي ما مِثلُها غُنمٌ لِمَن يَظفَرُ
يا شَهرَ ذي الحِجّةِ قَد أَصبَحَت تُشبِهُكَ الأَيّامُ وَالأَشهُرُ
ما مِثلُ نُعماكَ عَلَينا بِهِ إِلّا الَّذي كانَ وَلا يُذكَرُ
لا زِلتَ لِلناسِ حَديثاً بِما أَسدَتهُ أَيّامُكَ ما عُمِّروا"

فالحدث داخل السرد القصصي يدور حول استلام ومبايعة المتوكل للخلافة ، والشاعر هنا يحدد بدقة شهر ذي الحجة وهو شهر عيد الأضحى اذ تمت البيعة في هذا الشهر فاصبحت جميع أيامهم أعيادا فلا شيء يميز شهر العيد عن غير بسبب الأفعال الحميدة للخليفة ، ثم بعد ذلك يكمل سرده بأن هذا الزمان وهذه الأيام التي قضاها الخليفة مع الناس لن تنسى ابدا. فتحديد الزمان وتوضيح الشخصية وبيان الحدث شكل سردا قصصيا رائعا داخل الابيات.وفي قصيدة أخرى يدور السرد حول تصوير هموم الشاعر وخير ما يمثل هذه الصورة هو الليل الطويل لذلك يؤكد الشاعر على الالفاظ المتعلقة بالليل ،يقول[٤٩]:

"كَم قَد تَجَهَّمَني السُرى وَأَزالَني لَيلٌ يَنوءُ بِصَدرِهِ مُتَطاوِلُ
وَهَزَزتُ أَعناقَ المَطِيِّ أَسومُها قَصداً وَيَحجُبُها السَوادُ الشامِلُ
حَتّى تَوَلّى اللَيلُ ثانِيَ عِطفِهِ وَكَأَنَّ آخِرَهُ خِضابٌ ناصِلُ
وَخَرَجتُ مِن أَعجازِهِ وَكَأَنَّما يَهتَزُّ في بُردَيَّ رُمحٌ ذابِلُ
وَرَأَيتُ أَغباشَ الدُجى وَكَأَنَّها حِزَقُ النَعامِ ذُعِرنَ فَهيَ جَوافِلُ"

فيكرر ألفاظا تدل على الليل كـ (السرى ، الليل، السواد، الليل، الدجى) كلها جاءت دعما لموضوع السرد داخل الابيات وهو طول الليل.

الخاتمة :

بعد رحلة ممتعة وشاقة في الوقت ذاته وصلت إلى نهاية بحثي ، وتوصلت إلى:

- أن السرد القصصي يعتمد على عناصر عدة قد تجتمع كلها أو بعضها ليشكل الصورة السردية.
- كثرة القصائد المعتمدة على أسلوب السرد القصصي في ديوان الشاعر علي بن الجهم
- تمكن الشاعر من تطويع العناصر السردية خدمة للمعاني والاغراض التي يريدها.
- اعتمد الشاعر أسلوب التصريح بالاسماء والأماكن والزمان .
- تداخل العناصر من احداث وشخصيات ومكان وزمان مع بعضها ساهم في منح السرد القصصي عند الشاعر تكاملا وتماسكا داخل النصوص.

وختاما فالموضوع واسع ولم اتناول سوى جزء منه ولازال الباب مفتوح في هذا المجال أمام الدارسين والباحثين.

هوامش البحث

[١] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ابن منظور، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣، ج ٧، مادة سرد.

[٢] الاشتقاق لابن دريد تحقيق عبد السلام هارون، طبعة دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١، ج ١، ص ١٤٣.

[٣] المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث ، احمد رحيم كريم الخفاجي، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، دار صفاء – عمان، ط١، ٢٠١٢م، ص / ٣٨. وينظر : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي). د. حميد الحمداني المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص / ٤٥-٤٦. وينظر : البنية السردية في رواية خطوات في الاتجاه الآخر لحفناوي زاغر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات – جامعة محمد خيضر – بسكرة الجزائر ، ربيعة بدري، ٢٠١٥م، ص / ٩

[٤] ينظر في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت (د.ط) ١٩٨٨م، ص / ٢١٩. وينظر : البنية السردية في رواية خطوات في الاتجاه الآخر ص / ٩.

[٥] البنى السردية في شعر السبعينيات العراقي (دراسة نصية) : شيماء ستار جبار رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ .١٦

[٦] دليل الدراسات الاسلوبية : د. جوزيف ميشال شريم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ، ١٩٨٤ : ١٦

[٧] البناء الفني الرواية الحرب – دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة : د. عبدالله ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد : ١٩٨٨ : ١٦١

[٨] مدخل الى التحليل البنيوي للقصص : رولان بارت ، مجلة العرب والفكر العلمي ، مركز الإنماء العربي –بيروت١٩٨٩ ص:١٧

[٩] البنية السردية في شعر نزار القباني: انتصار جويد عيدان ، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٢ ص:٦.

[١٠] الرواية والراوي في كتاب الأغاني – دراسة من خلال أخبار جميل : نجوى الرياحي القسنطيني ، مجلة الحياة الثقافية ، تونس ، ع ٥٦ ، ١٩٩٠ : ٧٣ ؛ وينظر : بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم (قصة يوسف نموذجا) قراءة في ضوء مفاهيم السرد المعاصرة : د. ابراهيم عبد المنعم ابراهيم ، طا ، مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠٠٨ ،ص:٩٤

[١١] تحليل الخطاب الروائي : الزمن ، السرد ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩ : ٣٨٤ .

[١٢] التحليل البنيوي للسرد : د. سامية أحمد ، مجلة الأقلام العراقية ، ع٣ ، سنة ١٤، ١٩٧٩ : ٣٢.

[١٣] تداخل الاجناس الأدبية في القصيدة العراقية المعاصرة، أحمد محمد أبو مصطفى، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية ،غزة،٢٠١٥م، ص:٢٧٧.

[١٤] بناء الحدث في الفن القصصي ، رؤية تنظيرية، د.صبري سلم ،مجلة جامعة اليرموك ١٩٩٨ص:٤٢.

[١٥] ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بك ،وزارة المعارف ، المكتبات المدرسية :٤.

[١٦] الديوان: ٥.

[١٧] نفسه :٧.

[١٨] نفسه: ٧.

[١٩] نفسه: ٨.

[٢٠] الديوان: ٩.

[٢١] نفسه: ١٠.

[٢٢] نفسه: ١٢.

[٢٣] الديوان :١٠٧- ١٠٨.

[٢٤] النقد الادبي الحديث د.محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣م ،ص ٥٦٢.

[٢٥] شعرية الخطاب في رواية (بحثا عن آمال الغبريني) لابراهيم سعدي ،سمية قائم، الجزائر، رسالة دكتوراه، ص:١١٥.

[٢٦] الديوان : ٧١ .

[٢٧] نفسه : ٧٢.

[٢٨] نفسه : ٧٢ .

[٢٩] الديوان : ٧٥

[٣٠] نفسه : ٨٥

[٣١] نفسه : ١٢٥-١٢٦

[٣٢] الديوان : ٦٠ – ٦١ .

[٣٣] البنية السردية في رواية (خطوات في الاتجاه الآخر) لحفناوي زاغر، رسالة ماجستير الجزائر، ص:١٢٠.

[٣٤] ينظر :جماليات المكان ، مجموعة مؤلفين ، عيون المقالات ، دار قرطبة، الدار البيضاء، ١٩٨٨ص: ٣

[٣٥] ينظر :جماليات المكان الدمشقي ، شوقي بغدادي ، مجلة عمان ، العدد (٣٤) لسنة ١٩٨٨، ص:١٢

[36] ديوانه : ص٤

[٣٧] نفسه : ص١٨٦

[٣٨] الديوان : ٥٧ .

[٣٩] نفسه : ٥٨

[٤٠] نفسه : ٥٨

[٤١] نفسه: ٥٩

[٤٢] نفسه : ١٤١

[٤٣] نفسه : ١١

[٤٤] لسان العرب ، ابن منظور: مادة زمن.

[٤٥] جدلية الزمان والمكان في رواية عبد الرحمن منيف، عبد الحميد المحاذين ، مؤسسة الهداية للنشر ، البحرين ١٩٧٧م ،ص:٥٦.

[٤٦] الديوان : ١٥٦

[٤٧] الديوان : ٨٢

[٤٨] نفسه : ٢٧

[٤٩] نفسه : ١٦٨